فيليب حتي

Philip Hitti (١٨٨٦ –١٩٧٨م)

أ.د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطي

كلية الآداب جامعة الشارقة

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

يعد فيليب حتى المؤرخ الأمريكي البارز من أصل لبناني. يعد صاحب دور بارز في دراسة تاريخ الحروب الصليبية. حيث أصدر عدة دراسات عن العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى خلال تلك المرحلة المحورية.

يسلط هذا البحث الضوء على رؤية فيليب حتى تجاه الحرب العالمية في العصور الوسطى وأعني بها الحروب الصليبية.

Abstract:

Philip Hitti, the Outstanding American historian of Lebanese Origin, has a leading role in the Studying of the crusades He published several studies dealing with the relations between east and West during that vital epoch.

This paper focuses on Philip Hitti's Viton towards the universal war in the middle ages which is mean the crusades.

يتعرض هذا البحث بالدراسة للتعريف بالمؤرخ الأمريكي ذي الأصل اللبناني " فيليب حتى"[١] ويتناول إسهامه في دراسة تاريخ صلاح الدين الأيوبي و دوره في حركة الجهاد الإسلامي.

ولد فيليب حتى في بلدة شملان بجبل لبنان في ٢٢ يونيو ١٨٨٦م، ودرس في مدرسة قريته، وواصل رحلة التعلم من خلال مدرسة سوق الغرب الأمريكية، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، وحصل على البكالوريوس عام ١٩٠٨م.

سافر ابن لبنان المذكور إلي الولايات المتحدة الأمريكية، حيث نال الدكتوراه عام ١٩١٥م، وتم تعيينه مدرسًا في قسم الدراسات الشرقية، وظل يعمل به طوال أربع سنوات، كذلك عمل أستاذًا زائرًا في جامعة هارفارد؛ مما دل على مكانته العلمية، وقامت جامعة برنستون باستدعائه من أجل تأسيس قسم دراسات الشرق الأدنى، حيث أقام هناك مركزًا للدراسات العربية، وأنشأ مكتبة ضخمة تعني بالدراسات العربية والإسلامية، احتوت على أعداد كبيرة من المخطوطات و الكتب، ويقال أن عدد ما احتوته بلغ (٥٥٠٠) مخطوطة عربية، وعمل فيليب حتى على إعداد فهرس لها بالعربية والإنجليزية.

توفي المؤرخ المذكور في يوم ٢٤ ديسمبر عام ١٩٧٨م عن عمر بلغ (٩٢) عامًا. يذكر التاريخ لذلك المؤرخ مناظرته الشهيرة مع العالم اليهودي أينشتين بشأن فلسطين، وقد دافع عن حقوق عربها الذين تجذروا فيها منذ مئات السنين ضمن مؤامرة كبرى بريطانية صهيونية.

أصدر فيليب حتى مؤلفات تجمل على النحو التالي :

أولًا- مؤلفات بالإنجليزية :

1-Historyof Syria including Lebanon and Palestine,. London New York 1957.

- تاريخ سوريا مشتملًا على لبنان و فلسطين، ط. لندن نيويورك عام ١٩٥٧م.

2- Lebanon in History. New York and London, 1957.

- لبنان في التاريخ، ط. نيويورك و لندن ١٩٥٧م.

3- History of the Arabs from the earliest times until our present time, i. New York, London, 1970.

- تاريخ العرب من أبكر الأزمنة حتى عصرنا الحالي، ط. نيويورك، لندن ١٩٧٠م.

4- The Impact of the Crusades on Eastern Christianity, medieval and Near Eastern Studies in Honor of Aziz Serial Atyieh, ed, Sami AH. Hanna. Leiden 1972.pp211-217.

- تأثير الحروب الصليبية على المسيحية الشرقية، ضمن كتاب دراسات في العصور الوسطي و الشرق الأدنى، مقدمة على شرف عزيز سوريال عطية، تحرير، سامي ا.هـ. حنا.ط. ليدن ١٩٧٢م.ص٢١١-٢١٧.

5- The Syrians in America,. 1924

- السوريون في أمريكا، ط. ١٩٢٤م.

6- Origins of The Druze the people and the religion with extracts from their secret writings,. 1924.

– أصول الشعب و الديانة الدرزية مع مقتطفات من كتاباتهم السرية، ط. ١٩٢٤م.

7- Makers of Arab History, 1924.

–صانعو التاريخ العربي، ط. ١٩٢٤م.

8- The Near East in History, 1961.

– الشرق الأدنى في التاريخ، ط.١٩٦١م.

9- Islam and the West, 1962.

– الإسلام و الغرب، ط. ١٩٦٢م.

10- Islam, Life Platform, 1970

– الإسلام، منهاج حياة، ط. ١٩٧٠م.

11- Brief History of Syria, New York, 1968

– تاريخ موجز لسوريا، ط. نيويورك ١٩٦٨م.

12- The capitals of the Arab Islamic world, 1973.

– عواصم العالم الإسلامي العربي، ط. ١٩٧٣م.

13- Arab Heritage, Princeton, 1947.

– التراث العربي، ط. برنستون ١٩٤٧م.

14- The Origins of the Islamic State; Beirut, 1966.

– أصول الدولة الإسلامية، ط. بيروت ١٩٦٦م.

15- Descriptive catalog of The Collection of Arabic Manuscripts in the Princeton University Library. London, 1968.

– الكتالوج الوصفي لمجموعة المخطوطات العربية في مكتبة جامعة برنستون،ط. لندن ١٩٦٨م.

16- Arabs ,a short History,. Princeton, 1949.

– العرب، تاريخ موجز، ط. برنستون ١٩٤٩م.

ثانيًا– المؤلفات العربية والمعربة:

١– الإسلام منهاج حياة، ط. بيروت ١٩٧٢م.

٢– الإسلام في نظر الغرب، ط. بيروت ١٩٥٣م.

٣– العرب، تاريخ موجز، ط. بيروت ١٩٦٨م.

٤– أمريكا في نظر شرقي، أو ثماني سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية، ط. القاهرة ١٩٢٤م.

٥– تاريخ العرب مطول، ط. بيروت ١٩٦١م.

٦– تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين، ط. بيروت ١٩٨٢–١٩٨٣م.

٧– خمس آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، ط. بيروت ١٩٧٥م.

٨– صانعو التاريخ العربي، ط. بيروت ١٩٦٩م.

٩– لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ط. بيروت ١٩٥٨م.

١٠– موجز تاريخ الشرق الأدنى، ط. بيروت ١٩٦٥م.

ثالثًا-التحقيقات:

١- تحقيق كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ط. برنستون، ط. ١٩٣٠م.

٢- تحقيق كتاب نظم العقبان في أعيان الأعيان للسيوطي، ويتضمن تراجم مشاهير القرن التاسع الهجري في مصر وسورية وسائر البلدان الإسلامية، ط. بيروت ١٩٨٥م.

٣- تحقيق كتاب مختصر الفرق للبغدادي، وهو الاختصار الذي قام به الرسعني.

لا ريب في أن فيليب حتى، مؤلف غزيز الإنتاج العلمي، لم يقتصر تأليفه على مرحلة تاريخية واحدة، بل توسع في مؤلفاته ليشمل التاريخ عمومًا قديمًا ووسيطًا وحديثًا، مما دل على اتساع ثقافته و تنوع قراءاته، بل ألف عن الإسلام وحضارته، وهو أمر يذكر له مهما اختلفنا معه في الآراء.

تناول فيليب حتى أمر صلاح الدين الأيوبي، وتحدث عن الأهداف الثلاثة الكبرى في حياته وهي كالتالي :

أولًا - إحلال التعليم السني محل التعليم الشيعي في مصر.

ثانيًا - توحيد مصر وسورية تحت سلطة واحدة.

ثالثًا- مواصلة الجهاد ضد الأفرنج (٢).

فيما يتصل بالهدف الأول قال عنه :" كان الهدف الأول أسهلها تحقيقًا ؛ ذلك أن صلاح الدين عمد، والخليفة الفاطمي العاضد مسجي على فراش الموت سنة ١١٧١م - وهو آنئذ وزيره -إلى أن جعل الخليفة العباسي المعاصر " المستضئ بالله " في صلاة الجمعة مكان الخليفة " العاضد " وهذه الصورة كان ختام الخلافة الفاطمية، ومهما كان من غرابة هذا الأمر، وصعوبة تصديقه، فواقع الأمر، فإن التغيير الفوري هذا قد تم "ولم يتناطح فيه عنزان " وبه غدا صلاح الدين الحاكم الفرد في مصر (٣)، والواقع، إن صلاح

الدين الأيوبي امتلك براعة التوقيت الزمني لأعماله، لذلك كان سقوط الخلافة الفاطمية على نحو غير مسبوق لذلك استحق عبارة المؤرخ البارز ابن الأثير(ت ١٢٣٢م) عندما أشار إلى عدم تناطح عنزين خلاله.

أما بالنسبة للهدف الثاني المشار إليه، فقال عنه : "وأما هدفه الثانى، فقد حققه سنة ١١٧٤م، عندما توفي سيده نور الدين حاكم سورية؛ إذ تمكن بعد بضعة اشتباكات طفيفة من نتزاع سورية من ابن نور الدين، إسماعيل وهو بعد في الحادية عشر من عمره "(٤).

واقع الأمر، لم يكن تحقيق ذلك الهدف المذكور بمثل هذا اليسر الذي يشير إليه فيليب حتى؛ إذ احتاج الأمر إلى حرب عنيفة مع أنصار الزنكيينن، وامتد زمنيًا من عام ١١٧٤ إلي عام ١١٨٣م، والعام الأخير تمكن فيه من ضم مدينة حلب، حاضرة شمالي بلاد الشام، وبالتالي، فإن عبارة، إذ تمكن، بعد بضعة اشتباكات طفيفة من انتزاع بلاد الشام من انتزاع سورية من ابن نور الدين لا تعبر عن الواقع التاريخي على نحو موضوعي، ولعل ذلك المؤرخ أراد التهوين من ذلك الهدف وتوضيح أنه كان يسير التحقيق بينما الواقع التاريخي يخالف ذلك تمامًا، وعندما نطالع المصادر العربية المعاصرة لتلك الأحداث، يتأكد لنا ذلك الجهد المضنى الذي بذله صلاح الدين الأيوبي وجيشه من أجل تحقيق الانتصار على أعدائه.

لا نغفل هنا تناول فيليب حتى لأمر إصدار الخليفة العباسي عام ١١٧٥م، منشورًا يؤكد شرعيته على مصر وبلاد الشام وأضاف :"... وكان إلحاق العراق الأعلى،باستثناء الموصل نفسه، مما استكمل الوضع الجغرافي لهذه السلطنة، وهكذا فإن ما حلم به نور الدين من محاصرة الأفرنج وسحقهم وقطع دابرهم، بدأ يتحقق بما تم من جليل الأعمال على يد خلفه الذي فاقه مهارة " (٥).

واقع الأمر من التجني على نور الدين محمود، وهو مهندس حركة الجهاد الإسلامي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، أن نصفه بأقل مهارة من

صلاح الدين الأيوبي، فهو القائد الذي تربي الأخير على يديه وحصل منه على خبرته العسكرية و السياسية والدبلوماسية، ثم إنه هو الذي اكتشف عالم السياسة و الحرب، والأمر المؤكد أن السياسة الخارجية النورية وجدت فارسها البارع في صورة صلاح الدين الأيوبي، لكنه لم يكن أكبر مهارة من أستاذه؛ إذ كل منهما أكمل دور الآخر.

كما تحدث عن مؤامرات الفارس الصليبي المتعصب Renauld de Chatitton المعروف بأرناط ومحاولته الهجوم على الأماكن المقدسة الإسلامية في الحجاز، وفي ذلك قال :" كان رجنلد هذا مغامرًا بمقدار ما كان أهوج، فكان يوالي التعديات على الساحلين النوبي والعربي حتى إنه أنزل قواه على أرض الحجاز المقدسة واتجه صوب المدينة، وإذ غدا على مسيرة يوم أو بعض يوم من المدينة المقدسة نفسها، صدته فرقة مصرية كانت قد نقلت إلى هناك على جناح السرعة، في أسطول جهز في عجلة، وقد شاع أنه كان ينوي نقل جثمان محمد إلى الكرك، وفرض رسوم فادحة على حجاج المسلمين في مقابل مشاهدته" (٦).

واقع الأمر، من الممكن الاختلاف مع ذلك المؤرخ الأمريكي في قوله أن أرناط كان على بعد مسيرة يوم واحد من المدينة المقدسة، إذ واقعيًّا لم يكن الأمر كذلك ومن الجلي البين أن المصادر التاريخية الأيوبية حرصت على ترديد هذه العبارة للتأكيد على أن صلاح الدين حامي الحرمين الشريفين استثمار الحادثة دعائيًّا لصالحه.

كذلك أشار إلى معركة حطين الحاسمة التي جرت وقائعها في ٤ يوليو ١١٨٧م، وذكر هجوم أرناط على قافلة تجارية أيوبية فيها أخت صلاح الدين "(٧).وهي مقولة رددها المصادر التاريخية الصليبية، و لكنها لم تجد دعمًا يؤكدها من المصادر التاريخية العربية المعاصرة خطورة ترديدها لدى فيليب حتى إنها تظهر أن رد صلاح الدين كان كمسألة دافع انتقام شخصي بينما القضية هي مسألة الجهاد الإسلامي المتنامي ضد الصليبيين، وشتان بين الأمرين !!.

من ناحية أخرى، تعرض لفتح صلاح الدين لبيت المقدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧م، وقارن بين تسامحه و بربرية الصليبيين عام ١٠٩٩م، وفي ذلك قال :" طال الفرق جليًّا بين معاملة صلاح الدين الأيوبي للمدنيين من الأفرنج، ومعاملة الأفرنج للمسلمين قبل ذلك بثمانية وثمانين سنة، فمن استطاع أن يؤدي الفدية عن نفسه فقد فعل؟ وسمح للفقراء منهم بفرصة عشرين يومًا يجمعون خلاله مبلغًا يفتدون به أنفسهم ؛وبيع الباقون عبيدًا "[٨].

لا تعليل لنا أمام ذلك إلا إننا أمام فارس متحضر بحضارة الإسلام، لذلك كان تسامحه نابعًا من عقيدته التي آمن بها.

كما تعرض لإسقاط أملاك الصليبيين وفي ذلك قال :" اتجهت موجة الفتح بعد القدس نحو الحصون الباقية، فجرفت في طريقها الشوبك والكرك إلى الجنوب، وقلعة كوكب وصهيون إلي الشمال، ثم سقطت عسقلان، وعكا، وصفد، وطرطوس وجبلة، واللاذقية جميعها قبل نهاية عام ١١٨٩م، لم يبق في يد الأفرنج إلا صور، وطرابلس وأنطاكية، وبعض المدن الحصون الصغيرة " [٩].

واقع الأمر، إننا من الممكن معارضة مقولة فيليب حتى فيما يتصل بالكرك"[١٠]، إذ لم يتمكن جيش صلاح الدين الأيوبي من إسقاطها، وفيما بعد سقطت في أيدي المسلمين في عهد الظاهر بيبرس (١٢٦٠- ١٢٧٧م)، مؤسس دولة سلاطين المماليك في مصر والشام عام ١٢٦٣م.

كما تعرض لأحداث الحملة الصليبية الثالثة (١٢٨٩- ١١٩٢م) وحصار عكا خلالها، وفي ذلك قال :" سجل فيها التاريخ أعمالًا من البطولة النادرة وجرت في كلا المعسكرين " [١١]، والحقيقة إنه بذلك يساوي بين صاحب الأرض واللص !! فلم

يكن الصليبيون أبطالًا، بل قدموا للسطو على المنطقة، ومن الخطأ والخلط البين المساواة بمثل هذه الصورة التي تدل على غياب معيار الحق لديه للأسف الشديد !!

من ناحية أخرى، تعرض لمذبحة تل العياضية التي اقترفها ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted (١١٨٩– ١١٩٩م) وعنها قال:" كان من شروط الاستسلام إعادة "الصليب الحقيقي " في حطين، وإخلاء سبيل الحامية، في مقابل أداء ٢٠٠ ألف قطعة من الذهب؛ وإذ لم يدفع المال بعد مضي نحو شهر أمر قلب الأسد بالألفين والسبعمائة أسير فقتلوا عن آخرهم "[١٢]، هكذا، يبرر فيليب حتى تلك المذبحة المروعة؛ بسبب التأخر في دفع الفدية !!، وأتصور أنه هنا غلبت عليه مارونيته "[١٣] على موضوعيته كمؤرخ !!وهو أمر نأسف له أشد الأسف، وكان من المفترض أن ينطق بالحق و الحقيقة أن يؤكد دموية ذلك الملك الإنجليزي سفاك الدماء في بريطانيا و كذلك على أرض عكا !!.

من الملاحظ – مع ذلك – امتداحه لصلاح الدين وفي ذلك قال :" لم يكن صلاح الدين بطلًا من أبطال الحروب، وعلمًا من أعلام السنة فحسب، بل كان إلى ذلك – من بناة النهضة العلمية وحماة أربابها، فقد أنشأ المدارس ومعاهد البحث، وبني المساجد في مصر وسوريا، وكانت بطانته الخاصة تشتمل على الوزير الأديب القاضي الفاضل، والمؤرخ الأنيق الأسلوب عماد الدين الأصفهاني، وثم كاتبه الخاص و مدون أخباره، بهاء الدين بن شداد،ووزع على أتباعه الكنوز التي وقعت في يده عند اكتساح الخلافة الفاطمية، ولم يترك لنفسه شيئًا منها "[١٤].

يحمد لفيليب حتى تلك الإشارة التي تكررت – عمومًا– في مئات المؤلفات من جانب مؤرخين و كتاب عرب و غربيين، وهي تؤكد الواقع الذي أقرته المصادر العربية والصليبية عن أخلاق ذلك السلطان.

مع ذلك، عاد ذلك المؤرخ إلي المداراة وأسلوب الغمز واللمز والمكر، حيث أورد في هامش نفس الصفحة الإشارة إلى أن الشاعر ابن عنين هجاه وعيره بالعرج، وفي ذلك قال ما نصه:" هناك شاعر دمشقي عرف صلاح الدين معرفة شخصية هجاه بعرجه، و ذكره كذلك ابن عنين في ديوانه نشره خليل مردم (دمشق ١٩٤٦م)، ص ٦، ص٢١٠ –ص٢١١" (١٥)..

والواقع إن فيليب حتى لم يدرك أن لهذا الشاعر سلاطة اللسان ويكفيه من العار أنه نظم قصيدة من (٥٠٠) بيت بعنوان :" مقراض الأعراض"، كما إنه قام بهجاء والده؛ مما دل على أننا أمام شاعر له نفسية مريضة يجد ذاته في مناطحة الكبار والهجوم عليهم والطعن في الآخرين عمومًا.

تلك كانت توجهات المؤرخ الأمريكي فيليب حتى عن صلاح الدين الأيوبي، ومن الممكن استنتاج عدة ملاحظات عليها تجمل على النحو التالي:

أولًا– كان ذلك المؤرخ متعصبًا ضد صلاح الدين الأيوبي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وحاول تبرير جرائم الصليبيين، على نحو أضر بمصداقيته كمؤرخ، ومن المفترض توفر الموضوعية العلمية في كتاباته.

ثانيًا :على الرغم من ذلك، امتدح صلاح الدين الأيوبي أحيانًا، وأقر بتسامحه و هو أمر تكرر كثيرًا في كتابات مؤرخين كثيرين ولاحقين على ذلك المؤرخ، ولا نغفل هنا ملاحظة أنه خصص فصلًا مستقلًا عنه في كتابه بعنوان: صانعو التاريخ العربي(١٦) : مما دل على تقديره الخاص لذلك السلطان المجاهد.

ذلك عرض عن صورة صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨–١١٩٣م) لدى المؤرخ الأمريكي فيليب حتى Philip Hitti (١٨٨٦– ١٩٧٨م).

الهوامش

(١) عن فيليب حتى انظر، ويكبيديا، شبكة الإنترنت، شوقي أبو خليل، موضوعية فيليب حتى في كتابه تاريخ العرب، ط. دمشق ١٩٨٥م.

(٢) فيليب حتى، تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين، ت. كمال اليازجي،جـ٢، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص٢٣٦.

(٣) نفسه، نفس الصفحة.

(٤) نفسه، نفس الصفحة.

(٥) نفسه، نفس الصفحة.

(٦) نفسه، ص٢٣٧.

(٧) نفسه، نفس الصفحة.

(٨) نفسه، ص٢٣٨.

(٩) نفسه، نفس الصفحة.

(١٠) عن الكرك انظر :

يوسف درويش غوانمة، إمارة الكرك، بحث في العلاقات بين صلاح الدين و أرناط ودور الكرك في الصراع الصليبي في الأراضي المقدسة، ط. عمان ١٩٨٠م، نفسه، إمارة الكرك الأيوبية، ط. عمان ١٩٨٢م، محمد مؤنس عوض، تاريخ القلاع الصليبية في بلاد الشام، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٦٣- ص٦٥،

(١١) فيليب حتى المرجع السابق، ص ٢٣٩.

(١٢)نفسه، ص ٢٤٠.

(١٣) عن الموارنة انظر :

William of Tyre , A History of deeds done beyond The Sea , Trans. E.A. Babcock and A. Krey ,VOI,II, New York 1943 ,P.458.

Jacques de Vitry , History of Jerusalem , Trans Aubrey Stewart ,P.P.T.S.,VOI.XI, London ,1896,P.19.

كمال الصليبي، الموارنة، صورة تاريخية، ط. بيروت ١٩٧٠م، بطرس ضو، تاريخ الموارنة، ط. بيروت ١٩٧٧م، (علينا التعامل مع كتاباته بحذر نظرًا لتعصبه الشديد ضد كل ما هو غير ماروني!!)، يوسف دربان، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل، ط. بيروت ١٩٠٥م، نفسه، أصل الطائفة المارونية، ط. القاهرة ١٩١٦م.

محمد مؤنس عوض، ملامح تاريخ موارنة لبنان عصر الصليبيات، ضمن كتاب بحوث و مقالات، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص١٥٢– ص١٨٨، نفسه، رؤية مارونية لتاريخ الحروب الصليبية في القرنين ٦، ٧ هـ / ١٢، ١٣ م، ضمن كتاب أضواء جديدة في الحروب الصليبية، ط. رام الله ٢٠١١م، ص١٢٢–ص١٣٧، أسد رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمي، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٢٩٥.

(١٤) فيليب حتى، المرجع السابق، ص٢٤٠–ص ٢٤١.

(١٥) نفسه، ص٢٤١، حاشية ٨.

وعن ابن عنين انظر : ديوان ابن عنين، تحقيق خليل مردم، ط. دمشق ١٩٤٦م، مقدمة التحقيق، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، جـ٥، ط. بيروت ١٩٧٨م، ص١٤– ص ١٩، محمد ياسين الحموي، شاعر دمشق ابن عنين، ط. دمشق ١٩٥٢م، شوكت الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ط. عمان ٢٠٠٧م، ص٢١٣.

(١٦) فيليب حتى، صانعو التاريخ العربي، ت. أنيس فريحة، ط. بيروت ١٩٦٨م.